

وتلك هي الدار الآخرة

ولو أن الشاعر قد جعل من حياته الخاصة صورة صادقة لما يردده في شعره من دعوة إلى الزهد في الحياة ، لقلنا مع القائلين إنه قد سُم الحياة بعد أن رفضت حبيبة نفسه متبة الزواج منه ، ومال إلى حياة الزهاد والصالحين ، وأسرف في ذلك الميل حتى لم يعد له ما يشغله إلا التحدث عنها والترويج لها في شعره . أما وإنه ما زال حريصاً على الدنيا أشد الحرص حتى بعد تحوله إلى ما يشبه حياة الزهاد ، فلا وجه إذن لإدخاله فيهم . وهنا يمرض ذلك السؤال الذي لم يصادف جواباً مقنعاً في كتابة السابقين من مؤرخي الأدب العربي إلا وهو : أى شيء كان إذن سلوك أبي المتاهية إذا لم يكن زاهداً بالمعنى الذي نعرفه ، وأى شيء كان يدفعه إلى ذلك السلوك المتناقض التريب ؟

أمل الإجابة عن هذا السؤال هي أهم وأبرز بحث في الدراسة التي نحن بصدد التقديم لها الآن ، وقد استنفدت الكثير من وقت المؤلف وجهوده ، إذ وجد نفسه مضطراً أن يرجع إلى بيئة الشاعر وطولته ، لعله يجد فيها ما يلقى شيئاً من الضوء على ما اكتنف حياته من غموض واضطراب ، وبعد دراسة طويلة مضنية أسفرت الحقيقة للباحث الذي تمكن من ربط الانقلابات والاضطرابات التي طرأت على الشاعر في مختلف مراحل حياته — ومن بينها تحوله الضروري إلى حياة الزهاد — بما صادفه أثناء طفولته من ألوان اليأس والشقاء ، وما أصابه في ذلك الحين من أمراض نفسية ، وقد كان أشد تلك الأمراض تأثيراً على حياته وأعظمها إبلاماً له مولده الوضع الذي جر عليه كثيراً من الخزي ، وملأ قلبه حقداً على ذرى الجاه واليسار من أهل عصره .

على أن عوامل أخرى قد انضمت إلى تلك التجارب القاسية والأمراض النفسية التي سادت الشاعر في طفولته ، فأحدثت مجتمعة ذلك الانفجار القوي طراً على حياة الشاعر ستة ثمانين ومائة للهجرة ، والذي كان يعتبر حتى كتابة هذه السطور نوعاً من الزهد في الحياة (٢) . وأهم تلك العوامل هو ضغطه على

(٢) السجود مروج الذهب الجزء السادس من ٢٣٦ وأيضاً يلكون

L.H.A من ٢٩٦

إسماعيل بن القاسم

المعروف بأبي العتاهية

للمستاذ محمد الكفراوي

مقدمة :

يروى صاحب مسالك الأبصار (١) أن أبا الملاء الممرى كان يقول كلما أراد إنشاد شيء من شعر أبي المتاهية : قال الداهية أبو المتاهية ، وتلك العبارة من أبي الملاء المعروف بدقته وعمقه تربنا مدى ما يمرض له الباحث في حياة شاعرنا من صعوبات وما يواجهه من مشاكل ، وذلك لأن من لوازم الدهاة من الناس الانقواء والغموض مما يجعل التعرف على مقاصدهم مما يفعلون ويقولون صعباً . والحق أن الناظر في حياة أبي المتاهية أو القارئ لشعره لا يكاد يفرغ مما يصادفه من مشاكل تريد حلولاً ، أو أسئلة غامضة تقطاب إجابة شافية

وأهم تلك المشاكل وأشدها تعقيداً هو تحول الشاعر في ستة ثمانين ومائة للهجرة من شاعر حب وغناء إلى شاعر حزين متشائم لا عمل له إلا تهديد الناس في الحياة وتنفيهم من شهراتها ، والإلحاح عليهم أن يتجهوا بقلوبهم وأعمالهم إلى ما هو خير منها

(١) س ١٢٩

ثلاثون عاماً من حياته قضيتها ولم أقض حق الشعر مما شمرى لدى من الأفكار دنيا رحيبة رحابة آفاق السموات في فكري يجيش بها صدرى وبقل بهادى وألبت فيها كالمقيم على الجمر أفرس وأطلق في بحور من الشعر وأصبح من بحر لبحر إلى بحر أ كان هذا منذ سبعة أعوام .. أما الآن ، ففي الأسبوع القادم وفي الأسابيع التالية إن شاء الله ، تفصيل ما أجلت وتقييد ما أرسلت في شعراء الشباب

أحمد أحمد العيسى

السادس : فيه نقد أدبي لشعره

طفولته وبيئته :

ولد أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم في الكوفة سنة ثمانين ومائة للهجرة ، وكان أبوه القاسم يشتغل حججاً بها . أما هو فكان يبيع الجرار ، راسكنه ما لبث أن اعتزل تلك المهنة واشتغل بقرض الشعر قاصداً التكسب به . وحين سطع نجمه وضافت به الكوفة ذهب إلى بغداد وجاهد حتى رسل ذكره إلى سمع الخليفة المهدي الذي أذن له في إنشاد الشعر بين يديه وأجزل له المعاش . ولكن خلافاً شديداً نشب بين الخليفة والشاعر بسبب حب الأخير لإحدى جواري الأول وذكره لها في شعره مما جعل الخليفة يفتن عليه ويضطهده . وحين مات المهدي اتصل الشاعر بابنه الهادي ثم الرشيد ، وبعد عشر سنوات قضاهما في خدمة هارون كان أثناءها عمل عطفه ورعايته ، ترك الشعر الغنائي الذي كان يؤلفه للخليفة وهجر مجلسه ، ولبس مسوح الزهاد ، وأخذ يتحدث عن الموت والقبر ويضع من قدر الدنيا وأهلها ، ويدعو الناس إلى الزهد فيها ، والابتعد عن ملاذها وملابسها ، وينصحهم بالعدل للآخرة ونعيمها . تلك فكرة يسيرة عن أبي العتاهية كما يصوره التاريخ ويتصوره الناس أحبينا أن تقدمها بين يدي بحثنا

والآن نعود إلى إبداء رأينا في الشاعر . ولا بد لمن يريد أن يدرس حياة الشاعر ويفهم شعره حق الفهم ، لا بد له من معرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى ذلك الانقلاب الخطير الذي طرأ على حياته سنة ثمانين ومائة للهجرة ، والذي أضرنا إليه من قبل ، وبدون الوقوف على ذلك الانقلاب وأسبابه لا يمكن لنا أن نفهم كل ما جاء بعده من أشعار مع أن معظم إنتاج الشاعر وكل ما يتركه من الزهديات ، قد نظمها الشاعر بمذوق التاريخ ؛ ولكننا لن نستطيع معرفة أسباب ذلك الانقلاب وأسبابه وأسراره حتى نعرف الكثير عن بيئته الشاعر وأمرته وطفولته لتبين مدى تأثير كل ذلك على حياته

والمرور عن الفترة التي ولد فيها الشاعر ونشأ فيها ، أنها كانت مليئة بالفتن والاضطرابات ، إذ أنه ولد قبل سقوط الدولة الأموية وقام العباسية . فإذا أضفنا إلى ذلك أن الكوفة التي

هارون الرشيد لأسباب سذكرها فيما بعد ، واستقلال الفضل ابن الربيع وزبيدة زوج الرشيد لذلك السخط . فكل من الفضل وزبيدة كان نازكاً على الحياة الصاخبة المباشرة التي كانت يحياها هارون بين جواريه الحسان وبصحبة وزيره جعفر البرمكي ، أما في تلك الحياة من صرف للخليفة عن زوجه من جهة ؛ وإضافاً لقدرة الفضل بن الربيع من جهة كما سيأتي تفصيل ذلك . وقد وجدنا في أبي العتاهية ضالهم المنشودة ، فهو ساخط على الحياة والأحياء وعلى الخليفة وحاشيته بنوع خاص ، ورأيا في شعره خير وسيلة للتشهير بالملاحى وروادها ، وبالتالي خير وسيلة للحد من نشاط الرشيد في ذلك الاتجاه الذي لا يرغبان فيه

وهكذا نحول الشاعر من القول في الحب والفرز إلى التزهيد في الحياة وانتقير منها ومن شمواتها وملاذها متعاملاً أثناء ذلك على ذوى الجاه واليسار من بني عصره . ومع أن ذلك النوع من الشعر لم يكن في الكثير الشائب إلا تفريجاً عن نفس الشاعر المونورة وتعبيراً عن عواطفه المكبوتة ، ومن ثم لم يكن يستحق عليه كبير جزاء ، إلا أن الفضل وزبيدة لم يبخلا على الشاعر بالتشجيع المادي والأدبي لما كان في شعره من خدمة لأغراضهما

هذه سطور قلائل لم نقصد بها إلا أن نعرض صورة مصفوفة لأحد الموضوعات التي تعرض لها بحثنا . ولنا أمل أن يجد القارئ لما كتبناه عن أبي العتاهية إجابة لكل ما يحول في نفسه من أسئلة أو خواطر

هذا وقد قمنا بالبحث إلى ستة أبواب

الأول : يبحث في تأثير بيئته المضطربة ومنبعه الوضع

على حياته

الثاني : يتحدث عن حبه الفاضل وإلى أي حد كان سبباً

في تحوله إلى ما عرف باسم الزهد

الثالث : علاقته بالرشيد والفضل وزبيدة ، واندماجه

في السياسة

الرابع : دراسة إنتاجه الشعري بعد سنة ثمانين ومائة ،

ومعرفة مدى تصويره لأفكاره

الخامس : يبحث في عقيدة الشاعر

به الإسلام من مسارة بين جميع المسلمين - لم يجدوا بدا من الخضوع لتقاليد العصر والحكم بعدم جواز زواج ابن الحجام من طبقة غير طبقة إلا في حالات خاصة ، كأن الخزى والمار الذى ألقى به شر مستطير يجب ألا يتمدها إلى سواء

ولدينا من الأدلة ما يثبت أن أبا المتاهية كان وهو لا يزال صبيًا يشمر بضآلة شأنه وبثألم لوقوف مجتمعه منه ونظرته إليه . فالأفانى يجدنا أن قصايا تشاجر مع أبي المتاهية وشج رأسه فأسال دمه ودماه نبطيا ، وذهب الصبي المسكين إلى مواله يبيى وينتعب ويسألهم أن يمدوا إليه يد المونة ، وليست تلك المونة هى وقف الدم الذى يسيل منه ، ولكن محو ما أسابه من عار حين قال له القصاب « يا نبطى » ، والحبيل إلى محو ذلك العار هو أن يعلن أولياؤه من غزاة أنه غزى وقد كان . وما حدث القصاب إلا نموذج لحوادث أخرى كثيرة تكررت وجرت على الشاعر كثيرا من الخزى والشعور بالصمة .

ومن الحق أن يقال إن الشاعر كاد ينسى أو يتناسى مآمر به في تلك الفترة من تجارب قاسية ، فقد استقامت أموره ولمح نجمه في سماء المجتمع حين صار شاعرا مجيدا بعد أن كان بائع خنزف مهين ، ولكن حدثا جلالا قد عرض له فكدر عليه نشوة النجاح وأعاد إلى ذاكرته صورة الماضى البئيس وزاده إعيانا بأن الحياة ليست إلا موطنًا للشقاء والألم ، وأعطاه دلها جديدا على فساد نظام المجتمع ، ذلك هو حبه لعتبة وهو ما سيكون موضوع حديثنا في المقال التالى إن شاء الله

محمد الكفراوى

لكلامه

ولديها وتربى فيها كانت . ركز نشاط مناهض الحكم الأموى من عباسيين وعلميين ، وكانت لذلك مسرحا لكثير من مناظر ذلك النضال المرير ، كان معنى ذلك أن الشاعر قد رأى وسمع أئمة طفولته بكثير من تلك الحوادث الدامية . وجدير بثله أن يضحى فرط بالحياة والأحياء ، وأن ينظر دائما إلى المستقبل نظرة اليأس التشائم . وإنه لمن المؤكد أن روح اليأس والقنوط التى يصادفها القارى لشعر أبي المتاهية ، قد تمكنت من نفس الشاعر منذ ذلك الحين المبكر ولا سيما إذا لاحظنا أن أباه كان حجاجا وكان بطبيعة عمله من ألقى الناس بتلك المناظر الدامية

وإذا كنا بالرجوع إلى بيئة الشاعر وطفولته قد استطلعتنا أن نهتدى إلى أحد تلك الموامل التى أدت إلى شيوع روح التشائم في شعر أبي المتاهية فليس ببعيدا أن نتلمس الأسباب التى دفعت به إلى الحقد الشديد على ذوى اليسار والجاه من بني عصره حقا بظهور واضح في إنتاجه الأدبى بعد سنة ثمانين ومائة للهجرة ، كما سنذكره في حبه . وقد اتضح لنا من تلك الدراسة التمهيدية أن تتمته عليهم كانت أثرا من آثار الضمة والخلول الذين أحاطوا بنسبه . فقد كان آباؤه من التفاهة بحيث لم يكن لهم نسب معروف ، فهو عربى في قول بعض الناس ومول على رأى آخرين . ثم نراه يضطرب في ولائه فيتمولى مدلا وحبانا للمترين تارة ، ومنصور بن يزيد خال الخليفة تارة أخرى . ولكن ذلك التموض والخلول لم يكن كل ما يفسد على الشاعر حياته كما ذكر آباؤه وأجداده ، فهناك والده الذى كان يشغل حجابا ، وقد كان ازدراء الناس لتلك المهنة وأهلها شديدا ، ولا أدل على ذلك من الفقهاء - برغم ما ينادى

جامعة فؤاد الأول

جنه والمدرس أمانتين وسبعين جنهيا وتقدم الطلبات إلى مدير المهد

سنويا ، وفي حالة تعيين مدير بجامعة فؤاد الأول بالجيزة ويجب

المصريين يكون التسمين مبدئيا بمقد أن يشتمل الطلب على بيان

لمدة سنتين . وإذا كان المرشح وان لتاريخ الطالب العلمى ومؤهلاته

خارج التطر يمنح مصاريف السفر وبحونه كما يجب أن تقدم

ويشترط في الطالب أن يكون الطالبات في موعد غاية خمسة عشر

مستوفيا الشروط الجامعية لكل وظيفة . يوما من تاريخ الاعلان ١٩١٦

يلين المهد العلمى الملكى لعلوم

البحار بجامعة فؤاد الأول من

خلف وظيفة أستاذ مساعد (ب) ومدرس أ

للأحياء البحرية بمحلة الفردقة . ويمنح

الأستاذ المساعد بدل صحراء ثلثة